مجلة الإحياء، المجلد: 19، العدد: 22، سبتمبر 2019، ص - ص: 661 - 682
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الفتح الإسلامي للأوراس
بين المصادر العربية ونظرة شارل أندري جوليان
The Islamic conquest of the Oras between Arab sources and the look of Charles André Julian

****

د/ علي عشي[1]
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ والآثار
جامعة باتنة1

طالبة الدكتوراه: فضيلة هدار
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة والحضارة الإسلامية
جامعة باتنة1

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر
Maktoob72@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/12/26 **تاريخ القبول:2019/06/30**

الملخص:

إن الدراسات الاستشراقية التي تناولت التاريخ الإسلامي والعربي، تناولته من وجهتهم الخاصة وحاولت أن تضفي على الوجود العربي طابع الاحتلال، وعلى التصدي المحلي بالتصدي للإسلام، لهذا نجد شارل أندري جوليان يحاول في كتابه شمال إفريقيا في الفترة الوسيطة إبراز ما أفسده العرب المسلمون حين قدموا إلى شمال إفريقيا، وكيف قاومهم البربر نتيجة رفضهم للدين الجديد وهو الدين الإسلامي.

وكان الأوراس معقل الثورة ومقاومة المسلمين الفاتحين، وهذه ليست جديدة على سكانه باعتبارهم قلعة للثوار ومكان للتصدي لكل من يحاول التعدي

1 – المؤلف المراسل.

على أراضيه، وهو ليس بغضا للإسلام بل حبا منهم في الحرية وجهلهم لتعاليم هذا الدين، ولكن بعد الفتح حسُن إسلامهم وساهموا حتى في فتح الأندلس.

الكلمات المفتاحية: الفتح الإسلامي؛ شارل اندري جوليان؛ الاوراس؛ الاستشراق.

Abstract:

The Orientalist studies that dealt with Islamic and Arab history dealt with it from their own point of view and tried to confer on the Arab presence the nature of occupation and the local response to Islam. Thus, in his book North Africa, Charles Andrei tries to highlight what the Muslim Arabs spoiled when they came to the north Africa, and how the Berbers resisted them as a result of their rejection of the new religion, the Islamic religion.

The Auras were the bastion of the revolution and the resistance of the conquering Muslims. This is not new to its inhabitants as a fortress for revolutionaries and a place to confront anyone who tries to encroach on its lands.

Keywords; The Islamic, conquest, Charles André Julien, auras, Orientalism.

مقدمة.

تتناول هذه الورقة البحثية تشكل صورة[1] الفتح الإسلامي للجزائر في مخيلة الكُتاب الفرنسيين المتوسطين (المستشرقيين) كما الحال في كتابات ألبير كامي ولويس بارتران، وشارل أندري جوليان وغيرهم.

ولا يمكن أن نتجاهل أن الدراسات الاستشراقية التي تناولت التاريخ الإسلامي والعربي، واهتمت بقضاياه هي دراسات جادة وعميقة وتحتوي الكثير من الحقائق التي لها أهمية بالغة في البحث، وهي جديرة بأن نهتم بها كباحثين عن الحقيقة التاريخية، إلا أن من هذه الكتابات ما هو غير جاد وإنما كان لأغراض استغلالية خادمة للإدارة الاستعمارية بالخصوص وغالبا ما تكون هذه الدراسات متحاملة على ما تكتب عليه.

ويرى الأستاذ "الطيب بن إبراهيم" أن الاستشراق لا يعتبر تاريخيا أو جغرافيا فقط، ولا إنسانا أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة والحديث عن الاستشراق مرتبط عضويا وتكامليا مع هذه العناصر الأربعة الأساس إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري[2].

وبين الاتجاهين كان اختيارنا لهذه **الإشكالية** وفحواها كيفية تناول المؤرخ الفرنسي المستشرق شارل أندري جوليان لقضيتي الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وموقع منطقة الأوراس مما كتب.

فمن هو شارل أندري جوليان؟ وما هي الوظائف العملية التي شغلها في حياته؟ كيف ساهمت هذه الوظائف في تشكيل شخصيته التاريخية؟ بما تميزت كتابته عن الفتح العربي للشمال الإفريقي؟ وكيف كان تناوله لمنطقة الأوراس أثناء فترة الفتح؟

من هذه الأسئلة التي تعبر عن محتوى هذه المداخلة سنحاول معالجة إشكاليتنا هذه والتي كان اعتمادنا الأكبر فيها على كتاب شارل أندري جوليان المعنون بـ: "تاريخ شمال إفريقيا" في جزئه الثاني.

وتكمن **أهمية هذه الدراسة** في الكشف عن الرؤى والتصورات التخيلية التي شكلتها السرديات الفرنسية عن الجزائر، وكذا المادة الاثنوغرافية التي زودتنا بها تلك الكتابات عن المجتمع الجزائري، من عادات ومعتقدات[3]، وتاريخ خاصة الإسلامي منه إذا تحاول تشويهه والحط منه لصالح تجميل التاريخ الروماني والفرنسي.

وتجدر الإشارة إلا أنه لا توجد **دراسات سابقة** في الموضوع سوى إشارات عامة عن طبيعة الاستشراق وطرق توظيف مناهجه وأخطاره على الدراسات التاريخية باعتباره موجه لأهداف معينة وخاصة تخدم أجندته المعدة سابقا.

وسنسعى من خلال هذا البحث الوصول إلى **أهداف محددة** وهي:

- التعريف بشخصية شارل أندري جوليان وجهوده في الكتابة التاريخية
- إظهار كيف عالج شارل أندري جوليان لعملية الفتح الإسلامي مقارنة بالمصادر العربية والإسلامية التي عاصرت الحدث.
- الرد على أفكاره المشبوهة والتي تعتريها النزعة المسيحية الاستعمارية.

1- شارل أندريه جوليان تقديم وتعريف.

عاش شارل أندريه جوليان بين 1891م-1991م، كتب عنه "أنه الطفرة الوحيدة من النخب الأوربية التي شذت عما أتى به معاصروه"[4].

ونظرا لمواقف عديدة له فقد كان مهمشا وفي نفس الوقت كان مراقبا من طرف السلطات وندد بتجاوزات السياسة الفرنسية بالمغرب العربي.

كان أول اتصال له بالمغرب العربي سنة 1906م حين عين والده أستاذا بولاية وهران وهو ابن الخامسة عشرة سنة (15 سنة .

وسأستعرض الوظائف التي شغلها والمهام التي كلف بها من هذا التاريخ إلى وفاته لأبين كيف ساهمت - أي وظائفه - في تكوين شخصيته التأليفية التاريخية التي وصفت بأنها شخصية معتدلة.

في سنة 1910م انتخب رئيس رابطة حقوق الإنسان في الجزائر وتونس ثم مستشارا لبلدية وهران.

اشتغل بالصحافة وفيها بدأ بالكتابة في المجلة الأسبوعية " الكفاح الاجتماعي"، عمل أستاذا للأدب وأرسل إلى فرنسا في نفس الوظيفة ثم إلى وهران سنة 1919م.

عين سنة 1920م ممثلا للدعاية في شمال إفريقيا من طرف المؤتمر الاشتراكي، وعند انقسام الحزب الاشتراكي في مؤتمر"تور"بين التيارين الاشتراكي والشيوعي انضم إلى هذا الأخير، وانتخب مرشدا عاما لوهران سنة 1921م.

عين أمينا عاما للمجلة التاريخية بداية من 1927م ثم سكرتيرا للهيئة العليا للبحر الأبيض المتوسط، ليمتهن ثانية التدريس لكن هذه المرة ليس بوهران

لكن بالسربون ثم المدارس العليا فكان معلما لمدة ثلاثين سنة بفرنسا مسؤولا عن التعليم لأقطار ما وراء البحار وبمعهد الدراسات السياسية ثم بالمدرسة القومية للإدارة وربما ما جعله يتعلق بالدراسات المغاربية:

تدريسه بالمدرسة العليا للإدارة الإسلامية حيث ساهم هذا المنصب في تثبيت وإيجاد صلات له مع الشباب المغاربي فتخرج على يده جماعة منهم(5) .

أصبح مؤسس كلية الأدب بالرباط وعميدها من 1957م إلى 1961م وكاتب للجنة العليا للبحر الأبيض المتوسط وإفريقيا السوداء لدى رئاسة الحكومة الفرنسية (1930م/1935م) كما عمل مستشارا للوحدة الفرنسية 1947م/1958م.

اقترح على زملائه إنشاء مركز للتوثيق للاهتمام خاصة بالشؤون المغربية إلا أن فكرته طالت حتى حققت وذلك سنة 1936م.

وباندلاع الحرب العالمية الثانية انضم إلى المقاومة، وتم اقتراحه كاتبا للدولة في وزارة الداخلية مكلفا بشؤون شمال إفريقيا في حكومة فرنسا الحرة.

وبسبب مواقفه المتعددة انتخب ممثلا للحزب الاشتراكي في مجلس الاتحاد الفرنسي.

وهو يؤلف الآن وبعد استقلال الجزائر- رغم وجود معلومات عن كتابته له سنة 1931م - ودون أن نسجل له مواقف من قضايا العصر، نلحظ أنه يقدم لنا حوصلة لتجاربه النضالية والسياسية.ومن مؤلفاته التاريخية حول منطقة المغرب العربي أو الشمال الإفريقي الذي اهتم به كثيرا في كتاباته نظرا لاحتكاكه به وتعامله مع شعبه وهذا كان بسبب الوظائف التي أشرنا إليها آنفا والتي جعلته قريبا متضلعا بأحوال المنطقة وخباياها كتابه: "تاريخ إفريقيا الشمالية " بجزئين.

قبل أن نتطرق للكتاب والتعريف به نعرج على أهم خصائص الكتابات التاريخية الفرنسية عن الجزائر وإفريقيا.

2- بلاد المغرب والاوراس دراسة مقارنة بين الاستغرافيا التقليدية ونظرة شارل أندري جوليان:

لم يطلق عليها شارل أندري جوليان بلاد المغرب بل هي تسمية عربية إسلامية لها علاقة بدخول الإسلام وإنما أطلق عليها اسم شمال إفريقيا، واعتبرها تمتد من ليبيا إلى المحيط الأطلسي ومن البحر إلى أعماق الصحراء[6].

كما اعتبر شارل أندري جوليان أن ارتباط شمال إفريقيا- بلاد المغرب- جعل المنطقة تنعزل ولفترة طويلة عن المؤثرات الأوروبية، ومن ذلك الوقت يصعب التمييز بين الإسلام والغرب، ولا يزال الأمر كذلك إلى الوقت الراهن، إذ يتعذر فهم المشاكل الاجتماعية والسياسية، والقومية جميعها من دون اعتبار للبعد الإسلامي فيها[7]، وهو اتهام ضمني للإسلام بزرع التخلف في المنطقة، لان خروج المنطقة من المسيحية للإسلام مازال يحز في نفسه.

أما عن الاستغرفية العربية فهناك صعوبة بالغة في تحديد الإقليم الجغرافي للمغرب نظرا للاختلاف بين المؤرخين القدامى والمحدثون وبين المؤرخين والجغرافيين وحاولت ذكر التسميات القديمة والحديثة معا لاتضاح الأمور والفهم الجيد.

المغرب تعبير اتخذ أبعادا جغرافية مختلفة، فكان يدل على الجهة التي تغرب فيها الشمس[8]، ثم أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب العاصمة لجهة مغرب الشمس، وأول من استعمل التعبير بهذا المعنى الإمام علي بن أبي طالب "رضي الله عنه" إذ خاطب الخوارج قبل معركة النهروان بعد أن قتلوا رسوله إليهم الحرث بن مرة العبدي "... أن ابعثوا إلي بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أترككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب..."[9].

فالمغرب اسم يطلق على تلك المنطقة الممتدة من قرية السلوم– غرب الإسكندرية في الشرق، إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى بلاد السودان جنوبا"الصحراء الكبرى وهي النيجر ومالي والسودان"[10].

وقد زاد مدلول المغرب اتساعا خاصة في أيام العباسيين، فصارت الشام أيضا ضمن المغرب، إذ يروي المسعودي أن العباسيين قسموا مملكتهم

إلى قسمين وهما: المغرب ويشمل الشام ومصر وإفريقية وما يليها غربا، والمشرق ويشمل بلاد فارس والمشرق ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا وعلى هذا الأساس قسم هارون الرشيد مملكته على أبنائه الأمين والمأمون والمؤتمن[11].

ويذكر ابن حوقل أن المغرب "من مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة ويجعل الأندلس ضمنه"[12]، أما المقدسي فيجعل حدود المغرب من مصر إلى السوس الأقصى وجزيرة صقلية والأندلس، وأول كورة من ناحية مصر برقة[13]، كذلك يدخل اليعقوبي بلاد برقة من جملة أقاليم المغرب[14]، ويحدده البكري بالمنطقة الواقعة غرب مصر من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا[15]، وابن عذاري يدخل بلاد الأندلس ضمنه[16].

والمغرب تعبير جغرافي يطلق على المنطقة الحالية الواقعة غرب مصر من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن شواطئ البحر المتوسط شمالا إلى أواسط الصحراء الكبرى جنوبا ويشمل تونس والجزائر ومراكش وموريتانيا[17].

إذن مصطلح المغرب يرتبط ظهوره، بعصر الفتنة بين، علي ومعاوية، أي قبل منتصف القرن الأول الهجري[18]، ويظهر أنه استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، الذي كان يشمل مصر بملحقاتها، والشام وما جاوره ويقابله من الناحية الأخرى، المشرق الإسلامي الذي كان يشمل العراق، وفارس وما وراء النهر[19].

فابن الأثير يشير إلى أن عليا أثناء استعداده، في الكوفة لحرب معاوية في الشام خاطب رجاله في الكوفة بقوله: "تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب"وأرسل إلى عامله على البصرة، وهو ابن عباس يأمره بالاستعداد وتهيئة الناس، ويقول له: "لقد أجمعنا، على المسير إلى عدونا من أهل المغرب"[20].

إذن المراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، ولكن اختلاف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى إسبانيا الإسلامية "الأندلس" وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مثل صقلية، وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردينيا وكورسيكا، وجزر البليار أو الجزر الشرقية وهي ميورقة ومنورقة ويابسة[21].

ويذهب فريق آخر مثل المؤرخ الأندلسي ابن سعيد المغربي إلى اعتبار مصر أيضا ضمن مجموعة البلاد المغربية باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الفترة الإسلامية الأولى، وقد أيد ذلك مايرويه ابن عذاري من أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قلَّد عبد الله بن الحبحاب ولاية مصر والمغرب والأندلس، فكان له من العريش شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا إلى جبال البرتات Pirineos عند الحدود الفرنسية شمالا[22]، وهي مساحة تبلغ في مجموعها نصف مساحة الدولة الإسلامية[23].

غير أن بعض الجغرافيين كانوا يمدون حدوده شرقا دون أن تؤثر على البعد الجغرافي الذي اتخذه، منهم من جعل حدوده الشرقية العقبة التي على الطريق بين برقة والإسكندرية[24]، ومنهم من أخرج برقة منه[25]فابن حوقل يحدده بكل الأقاليم الواقعة بين مصر في الشرق والمحيط الأطلسي مع الأندلس في الغرب[26].

ولكن على الرغم من كل هذه التقسيمات السالفة، فإن جمهرة المؤرخين والجغرافيين العرب اتفقوا على تحديد كلمة مغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي ، فهناك المغرب الإفريقي، وهناك المغرب الأندلس، ولهذا فإن كلمة مغرب أو مغاربة قد تعني أيضا الأندلس وأهله.

وعلى هذا الأساس كانت مدينة الإسكندرية هي الحد الفاصل بين المغرب والمشرق، ولهذا عرفت باسم "باب المغرب"، لأنها كانت معبرا لجميع المغاربة القادمين من المغرب أو العائدين إليه سواء بالبر أو البحر بقصد

التجارة أو طلب العلم أو تأدية فريضة الحج، وهذا الموقع الجغرافي قد أعطى مدينة الإسكندرية طابعا مغربيا مازلنا نلمس آثاره حتى اليوم[27].

وعموما فإن إطلاق مصطلح المغرب على نطاق شمال إفريقيا كله، أو جزء منه فأغلب الظن أنه لم يقع، قبل القرن الثالث هجري أي عصر ابن عبد الحكم[28]، الذي أشار في حديثه عن نشاط معاوية ابن حديج بقوله:(خرج إلى المغرب، بعد ابن أبي سرح معاوية...)[29].

أما عن **المغرب الأوسط**: فيمتد من وهران غربا إلى حدود مملكة بجاية شرقا[30]، ويمتد من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غربا، وقاعدته تاهرت في عهد الدولة الرستمية الاباضية وتقع تقريبا في مكان تيارت الحالية وفي أيام الصنهاجيين الزيريين أصبحت أشير[31]، ثم تلمسان وجزائر بني مزغنة[32].

والاوراس هذه الكلمة التي تربك، لأن الأمر يتعلق ببساطة بمنطقة متمردة لم تعرف قط الخضوع لأنها كانت دائما ملتصقة بفاقتها ومتحررين من كل شيء ما عدا السماء[33]، واعتبر شارل أندري جوليان الأوراس معقل ومحور المقاومة البربرية للفتح- الاحتلال العربي حسب تعبيره- كما اعتبر القيروان نظير الاوراس في شن وتنظيم الفتوحات[34].

كما أشار الى أن المناطق التي كانت خاضعة للقرطاجيين وعرفت تأثيرهم رحبت بسهولة بالمسلمين عكس المناطق الأخرى التي كانت بعيدة عن نفوذهم في المناطق الداخلية والجبلية كالأوراس[35]، ثم يعود ويناقض هذا الحديث من خلال اعتبار أن بربر الاوراس لم تكن لهم القوة الكافية لصد هجمات المسلمين مما جعلهم يستعينون بالبزنطيين الرومان[36].

أما عن فتح الاوراس فلم يتم في عهد عقبة حيث لم يحاول حصار المراكز المحصنة شمال الأوراس كباغاية Baghai ولامباز Lambaise بل انطلق من هناك نحو طنجة[37].

3- خصائص الكتابات الاستشراقية حول التاريخ العربي الإسلامي:

تعددت الأهداف التي جعلت المستشرقين يهتمون بكتابة التاريخ العربي بين مجرد البحث عن الحقيقة وبين وجود نوايا استغلالية أخرى، إلا أن الكتابة بنية غير سليمة أكثر انتشارا منها عن السليمة خاصة في فترات انتشار الموجة الاستعمارية الأوربية للدول العربية.

نجمل هذه الخصائص في:

- إغفال عدة حقائق على المستوى الداخلي للدول.
- غلبة المنظور الاستعماري على الكتابة يظهر من تمجيد الاستعمار وتبريره.
- التركيز على إبراز جوانب دون أخرى.
- أغلب ما كتب من طرف الفرنسيين كان خدمة للاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا.

وقد مرت الكتابات الاستشراقية الفرنسية حول المنطقة بمرحلتين أساسيتين الأولى مثلها جماعة المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي وكذلك المتعاونين العرب من المغاربة للجيش الفرنسي، حيث في هذه المرحلة يفرض على المؤرخين البحث عن أصول السكان الذين سيتعاملون معهم، وأن يكتبوا كل ما يمكنهم عن عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، وكل ما يخص بنية مجتمعاتهم.

وجاءت كتابات هذه المرحلة على شكل مذكرات شخصية للقادة العسكريين، تقارير رسمية، روايات شفوية[38]، ومن أهمية هذه المرحلة أنها قدمت لنا مادة تاريخية ضخمة، احتوتها أبحاثهم التي غالبا ما تميزت بالدقة والتنظيم نظرا للمجهود الكبير الذي خصصوه لجمع المادة العلمية.

أما المرحلة الثانية فأهم ما ميزها عن سابقتها أنها مثلت من طرف أساتذة جامعيين وباحثين متخصصين، وقد عملت المؤسسة الفرنسية على تشجيعهم إداريا، كما تأسست جمعيات تاريخية وأثرية، وعقدت ندوات، وأصدرت نشريات ومجلات، ساعدت على نشاط المستشرقين.

والمستشرق المعني بدراستنا هنا هو "شارل أندريه جوليان" وهو ينتمي إلى المرحلة الثانية، وما عرف عموما عن هذه الشخصية وكتاباتها عن العرب وشمال إفريقيا خصوصا:

- أنه حاول مقاربة الموضوعية في تناوله للأحداث التاريخية، حيث حاول تشكيل الواقع واعادة بناء النص الادبي من خلال استحضار صورة الوقائع التاريخية .
- ظهور الطابع الأيديولجي على كتاباته.
- أجاد بتبيان أصول المجتمع البربري لكن بمنظوره الغربي، مع ذلك يمكن أن نسجل له اتخاذه لمنهج مغاير عن منهج مؤرخي الإسلام.

4- كتابه تاريخ شمال إفريقيا: يتكون الكتاب من جزئين اثنين:

الجزء الأول: عنوانه "تاريخ إفريقيا الشمالية من البداية إلى غاية الغزو العربي".

الجزء الثاني: عنوانه "تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، وهنا نلاحظ أن المترجم غير مصطلح في عنوان الكتاب من "الغزو الإسلامي" إلى "الفتح الإسلامي"، وفي هذا السياق حاول الباحثون والكتاب الاستدماريون أن يجففوا المنطلقات والمرجعيات في تاريخ الفتح الإسلامي، ومن ثم تشويه حركة الدعوة الإسلامية في هذه الربوع انطلاقا من تشويه المفاهيم وتغيير المصطلحات من ذلك مثلا إطلاقهم اسم الغزو La conquête على الفتح الإسلامي ووصف القرون الإسلامية المزدهرة ببلاد المغرب بالمظلمة[39].

في هذه الورقة البحثية سنعالج موضوع الفتح الإسلامي وكذلك الأوراس بالاعتماد على ما كتبه شارل أندريه جوليان في الجزء الثاني من كتابه الذي أشرنا إليه سابقا.

الكتاب في جزئه الثاني يتكون من سبعة فصول ومقدمة تحدث فيها عن الفتح العربي تحت عنوان: إفريقيا الشمالية إبان الفتح العربي.

الباب الأول: وفيه الفتح العربي وممالك الخوراج (الفتح العربي، المقاومة البربرية، ممالك الخوارج).

الباب الثاني: الدول العربية والبربرية (أدارسة، أغالبة، فاطميين، صنهاجة، وزحفة بني هلال).

الباب الثالث: الإمبراطورية البربرية (المرابطين، الموحدين).

الباب الرابع: عودة إلى الممالك البربرية (بني حفص، بني عبد الواد، بني مرين، بني وطاس ويقظة الإسلام).

الباب الخامس: المملكة الشريفة (الدولة السعدية، الدولة العلوية).

الباب السادس:1- الحرب الصليبية الإسبانية والإخوة عروج وتأسيس الإيالة الجزائرية. 2- الدولة الجزائرية. 3- الباي لارباي ونهاية الدولة الزناتية والحفصية. 4- العصر الذهبي للقرصنة الجزائرية والتونسية. 5- بلاد الجزائر في عهد الدايات والبلاد التونسية في عهد الحسينيين.

الباب السابع: نظرة إجمالية و ببليوغرافيا.

5- مرحلة الفتح الإسلامي من منظور شارل أندريه جوليان:

حدد شارل أندريه جوليان منابع الرواية حول تاريخ المغرب العربي في:

- رواية مشرقية يتزعمها الواقدي (المتوفي سنة 207هـ/822م) الذي يعد أقدم نصا ممثلا للأدب التاريخي، رغم أنها بقيت في طابعها الأسطوري[40].
- ورواية خليفة بن الخياط(ت 240هـ/854م)، التي لم يشر إليها شارل أندري جوليان نهائيا في كتابه، إلا أنها انتشرت الانتشار الكبير وأصبحت عمدة كل باحث في تاريخ المغرب عموما والفتح خصوصا فقد نشر في سنة 1967 بدمشق تحت عنوان تاريخ خليفة بن الخياط" بعناية سهيل زكار وأكرم العمري[41].
- إضافة إلى رواية الطبري (ت310 ه/922م) التي لم يشر إليها شارل أندري جوليان.

- رواية إسبانية يمثلها أحد أحفاد الفاتح موسى بن نصير.
- رواية إفريقية منسوبة إلى أحد أحفاد الفاتح أبو المهاجر دينار[42].
- رواية مصرية لابن عبد الحكم، حيث ظلت رواية ابن عبد الحكم (ت257ه/871م) هي أدق وأشمل رواية وصلتنا عن فتوح بلاد المغرب، والتي اعتمدها جل الباحثين والمؤرخين.

وابدى شارل أندري جوليان دهشته من اتحاد الإسلام مع إفريقيا الشمالية (بلاد المغرب) إلى حد نسي أنه كان هناك نفوذ مسيحي[43].

أول ما نلاحظه في بداية حديثه عن الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا تركيزه على إبراز الجانب الأسطوري أو الخرافي حول بعض الأحداث من مثل:

غزوة ابن سعد على إفريقيا في قوله: "بغزوته الكبيرة التي زخرفها كتاب التاريخ العرب بأحداث عجيبة أو خرافية"[44].

كذلك أكد أن هزيمة جرجير على يد عبد الله بن الزبير ما هي إلا أسطورة نسبت إليه.

وهذا ما لم تركز عليه الكتابة العربية الإسلامية إذ اكتفت بالتلميح إلى الشك الوارد فابن عبد الحكم في "فتوح مصر والمغرب" أورد "وكان الذي ولى قتله – أي جرجير – فيما يزعمون عبد الله بن الزبير"[45].

واستغرب شارل أندري جوليان غزارة المعلومات عن الفتح من قبل ابن خلدون وابن عذارى رغم أنه جاء متأخرا عن الفتح بسبعة قرون كاملة ومن المستحيل لم شتات المصادر التي اعتمدها، مما يبعث الحيرة في اعتمادنا على ابن خلدون والمؤرخين الذين عاشوا بين القرن الححادي عشر والقرن الخامس عشر مثل المالكي وابن الاثير والنويري، مما يبين التناقض بين شح المعلومات عند المؤرخين الأوائل كالبلاذري وابن عبد الحكم وروايات المؤرخين المتأخرين[46].

وثاني ما نلاحظه التركيز على قضية الغنائم في مسار الفتح، وكان رأيه أن دافع العرب من وراء غزوتهم على إفريقيا هو تحصيل الغنائم، حيث أن العرب استفادوا من هذه التجربة "أن مقاومة اليونان ليست شديدة، وأن الغزوات تدر عليهم المنافع العجيبة، وهكذا كان المتوقع رجوع الغازين بسرعة"[47].

وما تجب الإشارة إليه في هذه الدراسة أن الصورة النمطية stéréotype التي توحي بالإحكام المسبقة préjugés تشكل وفقها صورة الآخر وقد ساهم المستشرقون الأوروبيون في تكريس هذا النمط من الصور[48].

وتنقل لنا كتب الفتح الإسلامية في هذا الصدد – موضوع الغنائم – أن المسلمين اهتموا به كثيرا خاصة فيما تعلق بالجهة القيادية، فمن عهد معاوية بن حديج بدأت قضية الغنائم تشغل حيزا في تفكيرهم، والنصوص حولها كثيرة:

فمعاوية "افتتح قصورا وغنم غنائم عظيمة" وأنفلها الجند حيث للمرة الأولى ينفل "النصف عوض الخمسين"[49].

أما ثالث ملاحظة فهي تركيزه على مصطلح "غزو" بدل "فتح"، فيقول مثلا عن عمرو بن العاص: "الشيخ عمرو لم يتخل عن مطامعه في غزو إفريقيا".

كما لم يورد شارل أندري جوليان أعمال الفاتحين الأول للشمال الإفريقي (معاوية بن حديج، زهير بن قيس البلوي، أبو المهاجر دينار، حسان بن النعمان، موسى بن نصير) باستثناء ما ذكره من أمر عقبة بن نافع الفهري وما كان معه من أمر مع كسيلة وابن الكاهنة.

واعتبر جوليان أن البربر سواء كانوا حضرا "برانس" أو قرويين "بدو" استرجعوا ما فطروا عليه من تعلق بالاستقلال السياسي، وكانت هذه الحاجة إلى التحرر السياسي ظاهرة بوضوح حتى في البلاد الخاضعة لبيزنطة[50].

وجاء في حديث أندري جوليان عن عقبة متهما أياه بالعنف اتجاه البربر حتى أنه وصفه بالدموي بقوله" ولعل القوم كانوا يعيبون على مؤسس القيروان منحاه العسكري البحت وموقفه الحاد تجاه قواد البربر وما كان تأذن به من مجازر في غير هوادة"[51]، واعتبر سياسة عقبة كارثية حيث ساهمت في انحصار ملك العرب إلى ما بعد برقة؛ وقد تبعه العديد من الكتاب الحاليين في هذا الطرح.

وتطرق إلى إمكانية كون مقتل الفاتح عقبة بن نافع الفهري على يد ابن الكاهنة وليس كسيلة أو أن ابن الكاهنة وكسيلة هما شخص واحد، ونسب انتصار كسيلة الى اتحاده مع البزنطيين ضد العرب المسلمين[52].

بينما كتب الفتح الإسلامي تركز بعناية على موضوع الخلاف الذي كان بين عقبة وأبي المهاجر، هذا الخلاف أشار له باقتضاب شارل أندري جوليان.

كما نوه باختصار إلى حنكة أبي المهاجر وسياسته في كسب قلوب البربر والتي أهملها الكتاب العرب بل ركزوا على إبراز سياسة القوة والغلبة كابن عذارى الذي أشاد بسياسة عقبة ولم يتعرض لسياسة أبي المهاجر إلا بإبراز نقائص الرجل[53]، وشكك أندري جوليان في إسلام كسيلة أصلا على يد أبي المهاجر بل اعتبره بقي على مسيحيته والدليل ما فعله بعد مقتل عقبة[54]، وحتى البربر ارتدوا عن الاسلام بعد ما دخل كسيلة الى القيروان.

ونفى تعدي عقبة بن نافع في فتُحاته للجزائر الوسطى جهة وهران الحالية ووادي الشلف ولم يصل إلى المحيط وبالتالي قضية دخوله بالفرس مجرد أسطورة[55].

كذلك اعتبر تسليم ابناء الكاهنة" يفرن وبزديان" لحسان بن النعمان شيء عادي لا كتساب الشرف والبقاء في منزلة الحاكم المسموع في قومة.

6- أسباب سهولة فتح المغرب حسب نظرة شارل أندري جوليان

من الأسباب التي سهلت الفتح والتي أوردها المؤلف أن قيام حكومة نظامية كان ضروريا لحياة المدن الإفريقية العريقة وأنهم رأوا أن قضاء

شؤونهم أفضل من الحرية لذا تقبلوا الاحتلال ولم يذكر على ما هو معروف ومنتشر لدى المؤرخين والباحثين من أسباب سهلت فتح المغرب.

أما عن الصعوبات فقد تحدث عن أن بربر البرانس بمقاومتهم مثلوا العائق الوحيد أمام تقدم الفتح ومثال هؤلاء البرانس: -قبيلة أوربا من الحضر البرانس التي كانت أكثرهم عددا وأشد بأسا وقوة وهي من ولد "أورب بن برنس" تتشكل من بطون عديدة، وكان أميرهم عند الفتح "كسيلة بن ملزم الأوربي" في إقليم تلمسان(56).

قبيلة جراوة من البدو في منطقة الاوراس وهي من البتر ومعها القبائل المتحالفة معها بالمغرب الاوسط، تحت قيادة الزعيمة الاوراسية المعروفة باسم الكاهنة ويقال لها "داهية بنت ماتية بن تيغان" فقد كان "جميع من بإفريقية منها خائفون وجميع البربر لها مطيعون"(57).

وهذا ما يمكن أن نسميه النمطية في عملية إدراك الآخر في شكل مختصر وسلبي، ونقل صورة مشوهة عن ثقافته، وهذا ما يفسر حقيقة الصورة المختلفة "للغريب" التي تصاغ حسب التصورات الذهنية المطابقة لوجهات النظر الإيديولوجية والعرقية(58).

ركز أيضا على أن معرفة أنماط البربر وسكان إفريقيا وتصنيفاتهم له انعكاسات على الفتح، فمثلا البدو من البربر يغتنمون الفرصة للخروج وإحداث الثورة وهو ما جعل المرابطين حسب رأيه ينقضون على المغرب الأقصى.

7- ما ذكره شارل أندري جوليان عن الأوراس:

يذكر شارل أندريه جوليان منطقة الأوراس حين يتحدث عن مقاومة الفتح فحسب رأيه أن المقاومة قادتها الأوراس بكونها "محورا للمقاومة البربرية التي مثلت وحدها أعداء العرب المهابين"(59).

ففي مسيرة عقبة بن نافع نحو الغرب لم يكن الأوراس إلا هدفا للتوسع وهنا تبدأ مقاومة الأوراس مع كسيلة ويركز المؤلف كثيرا على إبرازه وعلى

أنه استعان بالروم الساكنين في إفريقيا الشمالية حتى أن انتصاره على عقبة هو انتصار بيزنطي أكثر منه بربري.

وعن عقبة ذكر أنه قسم جيشه في طبنة Thubunae إلى ثلاث فيالق واتجه على رأس كتيبة قليلة العدد نحو جنوب الاوراس، لكن كسيلة الذي كان انسلخ عنه في مكان مجهول ووحد القبائل البربرية مع جيش الروم حاصره في حدود الصحراء قرب تهودة Thabudeos على مصب الوادي الأبيض وقتله مع ثلاثمائة من فرسانه سنة 683 م "سيدي عقبة حاليا على بعد خمسة كيلو مترات جنوب تهودة"[60].

ثم ينتقل المؤلف من كسيلة إلى قائدة بربرية آخرى مثلت مقاومة أشرس من الأولى لجيوش الفتح وهي الكاهنة (دهية) التي حكمت قبيلة جراوة وهي كلها بدو لا حضارة لهم، فكأن إفريقية كانت مصممة أن تحيا مستقلة تحت إمرة قائد بربري جديد في منطقة الاوراس، حيث نبض قلب المقاومة البربرية[61]، والدليل على ذلك طبيعة المقاومة التي قادتها والتي أعطت لها اتجاهات جديدة وفي معرض حديثه عن هذه المقاومة أكد أصلها العربي.

هذا النص الاستشراقي يوحي بإشكالية الغيرية Altérité التي تمثلت في رغبة الأنا الملحة(فرنسا) في السيطرة في على الآخر (الجزائر) وإقصائه من دائرة الصراع، كما لا تخلو النبرة الخطابية من إحساس الكاتب بالتفوق الحضاري وسعيه لإجهاض القضية الجزائرية، وتبدو متعالية على الواقع تضمنت صيغا ودلالات مستقاة من التاريخ ومن التراكمات الثقافية، تظافرت جميعها لتشكل الآخر وإعادة صياغته[62].

ثم تكلم عن إشعاعها وشدة مقاومتها "للغاصب" وقد غذتها وطنية بربرية وعقيدة عبرية ومن حديثه عن الكاهنة أشار إلى أن النساء في بلاد البربر وفي عدة مناسبات قمن بأدوار مرموقة وركز على العصر الموحدي ممثلا له بأخت ابن تومرت وأشار إلى عدة أميرات من المرابطين كزينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين وقال أنها كانت تعرف السحر.

ليحدثنا المؤلف بوجود أوراسين قائمين على أساس اللهجة:

- اللهجة الشاوية لسكان الأوراس الغربي وهم أحفاد رعايا كسيلة.
- اللهجة الشاوية لسكان الأوراس الشرقي وهم أحفاد رعايا الكاهنة.

لكنه فند هذا التنصيف باعتماده على الاختصاصيين اللغويين

ثم ينهي المؤلف حديثه عن فترة الفتح مع موسى بن نصير الذي أخضع المغرب الأقصى حتى المحيط وفرض على القبائل الإسلام في حزم شديد، مع إهماله لقضية فتح الأندلس، ووزع شارل أندريه جوليان قبائل البربر كالآتي: صنهاجة.....طنجة، غمارة.....ساحل البحر المتوسط.

برغواطة.....طول المحيط الأطلسي، مكناسة.....وسط البلاد.

هسكورة..... بين السوس ودرعة، لمطة ولمتونة..... على الضفة اليسرى من درعة.

خاتمة

إن العودة إلى ما كتبه شارل أندري جوليان عن الشمال الإفريقي والعرب والفتح يمكن أن يكون بمثابة نقطة انطلاق واعية ومعتدلة والتي ستطرح في النهاية الكثير من الرؤى والتصورات تتيح لنا فرص أكثر للمقارنة ومعرفة ما يمكن أن يكون شوه أو طمس من التاريخ.

نشير إلى أن تعدد الدوافع التي أقحمت المستشرقين لدراسة التاريخ الإسلامي والعربي من الفضول العلمي، أو خدمة الاستعمار أو الدين هي التي تحدد منهج كتابتهم للتاريخ؛ إذ قليلة هي تلك الأقلام التي أخلصت لعملها ونظرت للتاريخ بنظرة موضوعية تستكشف الحقائق وتستنطق الأحداث وفيها نصنف هذا المؤرخ الذي خصصناه بهذا البحث.

حاول المستشرقون إظهار أن الفتح الإسلامي لا يختلف عن بقية المحتليين والغزاة السابقين وأن الهدف الأساسي من الاحتلال العربي هو الغنائم، وهو ما ردت عليه المصادر الإسلامية بما فيها البربرية الامازيغية بان المسلمين رسالتهم أسمى من مجرد غنائم وفوائد دنيوية.

اغتاظ المستشرقون عن كيفية اختفاء المسيحية من شمال إفريقيا وهي التي عمرت أكثر من ثمانية قرون، وأن منطقة شمال إفريقيا "بلاد المغرب " هي المنطقة الوحيدة التي انسحبت منها المسيحية دون أن تترك أنصارا لها.

ابرز شارل أندري جوليان أن ثورات البربر كانت بسبب عدم تقبلهم للدين الجديد ورفضهم له، إضافة إلى رغبتهم في العودة إلى المسيحية، إلا أن الحقيقة هي أن البربر ثار ضد ظلم الولاة الأمويين وجورهم وفرضهم ضرائب على البربر.

في خضم الفتح والمقاومة التي أبداها البربر ساهم الاوراس وقبائله وعلى رأسهم قبيلة الكاهنة جراوة في مقاومة هذا الوافد الجديد بل اعتبر شارل أندري جوليان أن البربر تعاونوا مع الروم المسيحيين ضد الإسلام نفورا منه وعدم تقبله ولكن المصادر العربية تِؤكد عكس ذلك حيث أسلم أبناء الكاهنة وأغلب شعبها.

الإحالات:

1) يشكل علم الصورة اهتمام الكثير من الدارسين والادباء والمفكرين وقد أصبح من ميادين البحث المهمة في الادب المقارن لكنه يطرح مشكلات منهجية للباحث، فالصورة لا يتم نقلها فوتوغرافيا إنما هي في الحقيقة رؤية تجاه الآخر، تختلط بالنزعة الذاتية للكاتب وباتجاهه الفكري وهي بذلك تمثل فضاء ثقافي يرتبط بالخيال في إطاريه الاجتماعي والثقافي.ليلى جباري: الصورة النمطية للجزائر في مخيلة الفرنسيين، ضمن أعمال الملتقى الدولي "الجزائر في الكتابات المتوسطية" أيام 7 و 8 جوان 2010، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة، يناير 2011، ص116.
2) محمد مشري: الجزائر في كتابات المستشرقين الفرنسيين، ضمن أعمال الملتقى الدولي "الجزائر في الكتابات المتوسطية" أيام 7 و 8 جوان 2010، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة، يناير 2011، ص173.
3) طزفيطان تودوروف: نحن والآخرون، ترجمة ربا حمود، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 1998، ص383.
4) ربيعة مزهود وبن عربية فاطمة الزهراء: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر شارل أندري جوليان 1891م/1991م " أنموذجا "، مذكرة ماستر اشراف: علي عشي، جامعة عباس لغرور خنشلة، 2015/2014م، ص23.

5) المرجع نفسه، ص 25.
6) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي و البشير بن سلامة، دم، الدار التونسية، 1983م، ج2، ص 9-10.
7) شارل أندري جوليان: المرجع نفسه، ج2، المدخل.
8) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأميرية، القاهرة، ص224- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت1971، ص98.
9) أبو الحسن بن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط2، موفم للنشر، الجزائر 1989، ص 31.
10) نفسه، ص31.
11) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت 1972 ، ص9-10.
12) ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، طبعة بيروت، 1962 ، ص64؛ والاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة شفيق غبربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1961، ص33.
13) المقدسي: أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، طبعة ليدن سنة 1906 ص 216.
14) اليعقوبي: البلدان ، طبعة ليدن ، سنة 1891 ، ص 301- 343.
15) أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون سنة ص2-14.
16) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج1 ، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان و إليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ط 3 سنة ،1983، ص 6.
17) سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية ،بيروت، الطبعة الأولى ،1985 ، ص11.
18) حاول الباحث أحمد العثماني في مقال له تحت عنوان "التنظيم الاجتماعي والديني لبلاد المغرب قبيل الفتوحات العربية الاسلامية" أن يحدد تاريخ ظهور مدلول بلاد المغرب وأورد بعض الآراء وخلص في الاخير ان هذا الاسم ظهر خلال القرن الأول الهجري باعتباره الجناح الغربي لدار الاسلام، وبدأ الاسم ينتشر الى أن حل محل مصطلح إفريقية الذي أصبح يعبر عن المغرب الادنى فقط. مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الانسانية، العدد5، غشت شتنبر، 2016، ص17.
19) موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1984 ، ص14.

20) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج 3 ، طبعة القاهرة، 1949، ص 172.
21) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص219.
22) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 2 ، ص40.
23) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص219.
24) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، ص1.
25) الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، ج 1، ص71.
26) ابن حوقل: المصدر السابق، ص64.
27) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص220.
28) موسى لقبال: المرجع السابق، ص15.
29) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2001 ، ج1، ص260.
30) الناصري السلاوي: المصدر السابق ، ج1، ص 12.
31) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص 10-11.
32) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 127.
33) عبد الله حمادي: الكاتب الفرنسي الكولونيالي JULES ROY، ضمن أعمال الملتقى الدولي، الجزائر في الكتابات المتوسطية أيام 7 و 8 جوان 2010، منشورات مخبر الترجمة في الادب واللسانيات، قسنطينة يناير 2011، ص3.
34) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص19.
35) نفسه، ج2، ص21.
36) نفسه، ج2، ص21.
37) نفسه، ج2، ص21.
38) ابن عبد الحكم، ص 38.
39) اسماعيل سامعي: قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012، ص9؛ وشارل أندريه جوليان: المرجع السابق، ج2، ص 16.
40) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص13.
41) اسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص9.
42) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص13-14.
43) نفسه، ج2، ص13.
44) اسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص25.

45) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ؤ المغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،ج1، ص246.
46) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص 14-15.
47) نفسه، ج2، ص17.
48) ليلى جباري: المرجع السابق، ص119.
49) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 260.
50) شارل أندري جوليان: المرج السابق، ج2، ص10.
51) نفسه، ج2، ص20.
52) نفس المصدر والصفحة.
53) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص21.
54) نفسه، ج2، ص22.
55) نفسه، ج2، ص22.
56) ابن خلدون: العبر، ج6، ص193؛ وابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص267.
57) المالكي: رياض النفوس، ص32؛ وابن عذارى: البيان، ج1، ص35.
58) ليلى جباري: المرجع السابق، ص120.
59) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، ص 19.
60) نفسه، ج2، ص22.
61) نفسه، ج2، ص22.
62) ليلى جباري: المرجع السابق، ص12.